جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم الجغرافية

ا. د. بلال بردان علي الحياني

المرحلة الرابعة

جغرافية الاسكان

Housing geography

المحاضرة الثالثة:

جغرافية الاسكان ومصادرها:

The geography of housing and its sources

ظهر من خلال الاستعراض السابق للموضوعات التي تناولت السكن والاسكان مقدار الاهتمام المتزايد بهذا النمط من الاستعمال نظرا لما احرزته المدينة الحديثة من مشكلات ترتب عليها قيام بيئات حضرية وريفية تفتقر الى الكثير من مقومات الحياة التي ينشدها الانسان المعاصر كما بات واضحا ان حقلاً لجغرافية الاسكان اصبح في حدود الاسكان كعلم قائم بذاته يعتمد- شأنه شأن فروع الجغرافية الاخرى- على حقول المعرفة ذات العلاقة كالتاريخ والاجتماع والتخطيط والدراسات السكانية وغيرها.

ويعتبر تريوارثا من السباقين الى قيام هذا العلم واعتبره من الاساسيات التي تهتم بها الجغرافية فقد اشار في معرض نقده للجغرافي الفرنسي برون عام ١٩٥٣، الى ان دراسة المساكن في موضوع متخصص هي ظاهرة اكثر جغرافية من دراسة الكائنات البشرية. الا انه اعطى لجغرافية الاسكان صفه من التخصص عن الفكر الجغرافي التقليدي، في حين مال جيمي واطسون الى اشتقاق جغرافية الاسكان من الجغرافية البشرية عندما اشار الى ان دراسة السكن تقع ضمن اساسيات الجغرافية الاجتماعية التي هي جزء من الجغرافية البشرية.

في حين توصل كل من فريمن وروب في معرض تناولهما للفكر الجغرافي الحديث- الى ان جغرافية الاسكان نتجت عن عملية تفاعل بين علم الاجتماع والتاريخ. وهما بذلك قد قاما بعملية توليف لافكار كل من باروز وهاكت عندما اشار الاول في معرض تحليله للفكر الجغرافي الى ان الجغرافية ما هي الا جزء من علم الاجتماع، في حين اشار هاكت الى ان الجغرافية عبارة عن بحث تاريخي اصيل.

فجغرافية الاسكان تستعين بالتاريخ لانها بدون اساس تاريخي لا تستند على قاعدة منطقية في معرض تحليلها لصيغ التطور في نمط المتغير الجغرافي المعتمد. وقد اكد هذه الحقيقة جون سميت من جامعة فرجينيا- عندما اشار الى ان الجغرافية بدون اساس تاريخي تعتبر جثة لا حراك فيها.

فجغرافية الاسكان تستعين بالتاريخ في ملاحظة التطور الحاصل في انماط الوحدات السكنية بدء من اشغال السكان من مرحلة التجوال الى مرحلة الاستقرار والتوطن وتوضيح ظروف البيئة المحلية والاجتماعية التي اثرت على هذا النمط من الاستعمال .

من جانب اخر ترك علم الاجتماع بصماته على نهجية هذا الموضوع، وذلك لكون الانسان اجتماعياً بطبعه يتعامل مع كل استعمال تبعا لدرجة علاقته بالبيئة الاجتماعية التي تمارس في حيز مكاني معلوم. فالسيطرة والتدرج والتتابع والتركز والتشتت هي من جملة المتغيرات الاجتماعية التي لها اهمية واضحة في رسم صيغ الاستعمال السكني. فقد يمتد بصورة نطاقية متطاولة مع خطوط النقل- خاصة في المدن الخطية والاصبعية- وقد يكون متركزا ضمن حيز محدد تقطعه شبكة من الشوارع العضوية كما هو الحال في المدن القديمة، في حين يتخذ نمط مشتتا او متناثرا على صفحة الاقليم عند نطاق الاطراف الريفية- الحضرية او يكون على شكل تجمعات بؤرية تقطعه شبكة من الشوارع الشعاعية والمركزية. كما ان للسكان اهمية استثنائية في هذا الحقل لانه المحور المتغير الذي يرتبط به الاستعمال السكني وذلك بمجموعة من المتغيرات الموضعية او الاقليمية ذات البعد المكاني في رسم صورة السكان. كما ان للكثافة السكانية وصور التوزيع والمستوى الاقتصادي السائد ومعدل حجم العائلة ونوعية واسطة النقل المستعملة للربط بين مناطق التركز السكاني والمناطق الوظيفية، جميعها

تفرز متغيرات سكانية لها ارتباط وثيق مع هذا النمط من الاستعمال، وهي بمجموعها تفرز التباين النوعي والكلي لهذا الاستعمال على المستويين الريفي والحضري.

يضاف الى ذلك الاتجاهات العامة في النمو السكاني ومعدلات الهجرة الداخلية وتوزيع مناطق السكن المتهري وطبيعة العلاقة بين الاستعمالات المختلفة وظروف السكن وما تحتاجه من ركائز خدمية، بالاضافة الى الموارد المالية المخصصة لهذا الاستعمال من مجمل الناتج القومي، كل هذه المتغيرات تدخل ضمن اهتمامات جغرافية الاسكان. وتباين قيمة كل متغير من هذه المتغيرات تبعا لاختلاف المجتمعات ما بين حضرية او ريفية، او متقدمة ونامية.

يضاف الى ذلك الاهمية الفعلية للتخطيط على المستوى المحلي او الاقليمي في تنفيذ صيغ الاسكان. ويمكن ملاحظة دور الاسكان واضحا في الاقطار التي تمارسه كبرنامج معتمد لتخطيط الاسكان على المستوى الريفي والحضري تدخل جميعها ضمن مصادر ميزانية الاسكان.

مما تقدم يظهر ان جغرافية الاسكان قد اخذت تحتل موقعها كأحد فروع المعرفة لانها تتلمس حقيقتها في مجال حيوي تلتقي عنده قيم التقدم الاقتصادي وظاهرة التقدم. والاسكان كظاهرة تقتضي ضرورة التكامل بين مشروعاتها ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في جميع المراحل، واحلاله في المكان الواضح في سياسات التنمية القومية، وتخصيص الموارد المالية الكافية له واتخاذ الاجراءات الازمة لمواجهة مشكلاته والسيطرة عليها.

فلسفة واهتمامات جغرافية الاسكان:-

من خلال ما ذكر سابقاً برزت جغرافية الاسكان كعلم متسق من الجغرافية البشرية التي تعتمد في فكرهما على ثلاثة اسس رئيسية هي الاحساس والادراك والمتابعة وتهتم

جغرافية الاسكان بالانسان في انجازاته ومحاولاته المتطورة من اجل احلال صيغ متجددة على الوحدة السكنية تبعا لعلاقتها بمتطلبات الظروف الاقتصادية والفنية المتاحة . وتقوم بدراسة العلاقات المكانية لاستعمالات الارض السكنية تبعا لاهميتها الموضعية ودرجة علاقتها بمتغيرات السكانية والاقتصادية والسياسية.

وترتبط جغرافية الاسكان بمجموعة كبيرة من العوامل التي تشترك في رسم صورة ظاهرة لها ارتباط شديد مع متغير الحياة والديمومة للكائن البشري والاستعمال السكني يعتبر من الاستعمالات التي لا يتوضح فيها المردود الاقتصادي كا الاستعمالات الارض الاخرى لكنه ذو اثر اجتماعي كبير على التجمعات السكانية في مختلف بقاع العالم النامي والمتطور.

وتاتي اهمية جغرافية الاسكان من قدرتها على متابعة المتغيرات التي تؤثر على ظاهرة الاسكان وتحليلها بعد ربطها بالاطار السكاني، الامر الذي جعل هذا الفرع من الجغرافية يميل الى الاستعانة بكثير من العلوم ذات العلاقة الامر الذي يؤكد انتمائه الى علم الجغرافية لما عليه من تركيبه علمية واضحة.

وتأتي الدراسات السكانية في طليعة المواضيع التي تستعين بها جغرافية الاسكان لتحديد مشكلتها العلمية، وعن طريق الدراسات السكانية تكون جغرافية الاسكان قادرة بحرية على متابعة ظاهرة الاسكان القائمة والمتوقعة على المستويين الريفي والحضري، وما تهتم به من هذا المتغير جوانب التوزيع والكثافة السكانية او المستوى الاقتصادي للسكان بالاضافة الى التباين الوظيفي والاجتماعي كما ان جغرافية الاسكان ينظر الى العنصر البشري باعتباره المحور الذي تدور حوله المعاناة التي تواجهها ظاهرة الاسكان، تهتم بخصائص الاسكان والاتجاهات الممارسة في اقطار العالم لتغطي تلك الظاهرة كل حسب امكاناته وظروفه الموقعية والاجتماعية. من هذا كانت مهمة الجغرافي تقوم على نقل تجارب تلك الشعوب ومستوى اساليب التخطيط

الممارسة فيها، مع ملاحظة وتحقيق تلك التجارب ودرجة انطباقها على الواقع المحلي، وما يعترض تنفيذها في اماكن دون اخرى.

ولا تقتصر اهمية جغرافية الاسكان على نقل الصورة القائمة للاسكان تبعا لمتغيرات الموقع- بل تتخطى ذلك الى المستقبل، ومن هنا بدأت جغرافية الاسكان تتجاوز الجدار القديم لعلم الجغرافية، والذي اقامه جمهرة من الجغرافيين الكلاسكين حينما اشاروا الى ان هذه الجغرافية تقف عند الملاحظة والتوزيع والتحليل وتترك التوقعات المستقبلية والممارسات التخطيطية الى العلوم الصرفة التي تبدا عادةً من المرحلة التي تتوقف عندها الجغرافية.

في حين اتسع افق الجغرافية كثيرا في السنوات الاخيرة بعد ان وفدت الى الفكر الجغرافي وسائل كمية متطورة تستعمل في المعرفة الجغرافية للوصول الى نتائج مقتنعة، ان هذا التغير في الوسائل المستعملة جعل علم الجغرافية الحديث قادرا اكثر من غيرة على رسم الصور المستقبلية للظواهر الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية، لأنها لا تتناول الجوانب المحددة لقياس مقنن كالظاهرات الاقتصادية بل استطاعت ان تخضع الظاهرات الاجتماعية للقياس مما جعلها قادرة على استيعاب الجانبين الانساني والطبيعي.

من هذا كان ميدان جغرافية الاسكان يركز على اسس ومعايير التخطيط المبرمج لظاهرة الاسكان، والتي تختلف عموماً بين المجتمعات المتطورة والنامية وبين المجتمعات الريفية والحضرية. ولما كانت ظاهرة الاسكان تختلف باختلاف ظروف البيئة المحلية، قد يكون بنمط خطي او نطاقي او يكون بصيغة التوزيع متجانس على صفحة الاقليم، وهنا يزداد جغرافية الاسكان لدرايتها لخصائص الموقع المحلي.

كما اهتمت جغرافية الاسكان بتخطيط الاسكان المزمع تنفيذه داخل الحيز الحضري اخذت بنظر الاعتبار الفعاليات الاساسية الممارسة في مساحتها وخصائصها الموقعية، الامر الذي افرز مجموعة من اسس التخطيط الاسكاني الريفي والحضري. لقد اصبح البحث عما يهم الانسان وحياته من غير خلفية عريضة وعميقة يستمد ابعادها من الواقع الجغرافي التي حياته وسباقها الموصول، بحثاً عن غير مقبول لأنه يسقط او يغفل البعد بكشف عن التأثير المتبادل بين الانسان والارض من هذا المنطلق نشأت العلاقة الاصولية بين جغرافية الاسكان والتخطيط.

من هنا برزت اهمية الجغرافية ودورها الكبير الذي يتمثل في نتائج ينتهي اليها من خلال المسح الجغرافي، ويتمثل مرة اخرى في المشاركة في وضع الخطة ومظاهرتها بالحقائق من خلال العمق والاحاطة بالواقع الطبيعي والبشري.

ان هذا يضعنا في اطار واسع يمكن ان تشغله جغرافية الاسكان زمنياً ومكانياً، فهي تعيش مع خصائص الوحدة السكنية اعتباراً من تاريخ ظهورها على سطح الارض- مستعينة بالدراسات التاريخية والحضارية- الى المستقبل مسترشدة بالتخطيط العلمي المبرمج.

مراحل تطور الاستيطان للانسان:-

١. مرحلة استعمال الكهوف في بداية الاستيطان الطبيعي.

٢. مرحلة الاستيطان المؤقت، وهي المرحلة التي تعلم من خلالها الانسان تدجين الحيوانات التي تساعده كمصدر للغذاء وفي معاونته على التنقل، مرحلة القرى الطينية والاكواخ.

مرحلة القرية الواضحة المعالم التي تأسست بمركز ثابت ثم بأدت تتطور وتتوسع حيث اكتشف الانسان الزراعة واخترع أدواتها البسيطة الاولى.